مدرسة الإسكندرية

الشهادة بحسب الإنجيل (٥)

الراهب سارافيم البرموسي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثامن - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٨

الشهادة بحسب الإنجيل (٥)

الراهب سارافيم البراموسي

الشهادة بحسب الإنجيل (٥)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

معوزين متضايقين متألّمين
كقول بولس الرسول
لكن اسمك القدّوس يا ربّي يسوع
يكون لهم ناصرًا في جميع ضيقاتهم

أبصالية الثلاثاء (تسبحة نصف الليل)

الوريقات الأولى في حياة الكنيسة تحمل سحرًا خاصًّا بالرغم من كونها مكتوبة بالدماء. إنّها أشبه بشِعْرٍ يُسبِّح في ذاكراتنا المُعاصرة بأناشيد المسيحيّة الحقّة. حينما تألّمت وامتُحِنَ إيمانها، أظهرت صلابة وقوّة هوت على قلوب المضطّهِدين الصخريّة لتفتّتها. ها ورقة أخرى إيمانيّة تشير بأصابع المجد إلى كنيسة البذل التي وُلِدنا على أيدي المسيح من مخاض أنينها.

حينما نتحدّث عن الضيقة التي لاقتها الكنيسة في سنيها الأولى والتي امتدّت بشكلٍّ أو آخر إلى مختلف الأصقاع عبر الأزمان، لا يمكن أن يغيب دور شاول / بولس عن المشهد، إذ كان أحد أدوات إيلام الكنيسة حتّى استوقفه المُخلِّص، ليتحوّل إلى عضوٍ متألم من أجل المسيح. والحديث عن القديس بولس تُفرَد له مُجلَّدات ولا توفيه حقّه. وأكتفي هنا بالتقاط بعض النقاط من كلماته قبل / بعد الإيمان التي توضِّح لنا مفهوم الألم والضيقة التي كانت تلاقيها الكنيسة في زمانه، وخاصة أنّه احتلّ النصيب الأكبر من سرد القديس لوقا في سفر الأعمال لوضع الكنيسة في زمان الرسل.

قناعة القتل

قال الربّ لتلاميذه مستبقًا الأحداث: «سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ!!» (يو١٦: ٢).

رضى شاول بقتل إستفانوس، فكلمات إستفانوس الشاب في المجمع زلزلزت الغيرة اليهوديّة في قلوب الشباب الأصولي النزعة؛ فالشباب ثورة مائجة مُضطّربة يجب تهذيبها، إلاّ أنّ الكتبة والفريسيين لم يُهذِّبوا جموح الشباب بل أشعلوه وأشاروا إلى إستفانوس؛ فكان موته راحة لشاول وأقرانه.

✠ «وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِياً بِقَتْلِهِ» (أع ٨: ١)

✠ «وَحِينَ سُفِكَ دَمُ اسْتِفَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِفاً وَرَاضِياً بِقَتْلِهِ وَحَافِظاً ثِيَابَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ» (أع ٢٢: ٢٠)

استلم القديس بولس من دماء إستفانوس الشهيد دعوة الكرازة إلى الأمم، فلقد كان إستفانوس يُحادث اليونانيين بالأساس من الدخلاء إلى اليهوديّة. لم يتسلَّم القديس بولس الدعوة في غرفة مغلقة، ولكن من وحي دماءٍ ارتضَى بسفكها؛ فقطرة دماء منسكبة من جسد شهيد المسيح، تنبت بذارًا حيّة في جسد المسيح. ذاك هو قانون الكرازة بالمسيح. لم تأت دماء إستفانوس بثمارها في التوّ، فقد ظهر أنّ دماءه أشعلت نيران الحربّ على الكنيسة وحرّكت حنق شاول بالأكثر على المسيحيّين، ولكن في الأعماق كانت يدُّ الله تهيّئ التربة لاقتبال المُخلِّص.

يرى القديس أغسطينوس أنّ اهتداء بولس يرجع بالأساس لغفران إستفانوس لقاتليه، إذ يقول: "لو لم يُصلِّ إستفانوس لما ربحت الكنيسة بولس". وهو هنا يضع مسؤوليّة عُظمَى على الشهداء والمتألّمين من أجل الإيمان أنْ يُطلقوا البركة للأعداء حتى تُحرِّرهم قوى الغفران من ظلمة أذهانهم وغشاوة قلوبهم.

قبل الإيمان، كان شاول يُهدِّد كنيسة الله، ليُرهب أعداء الله!! لم تسلم من يديه الطفولة البريئة ولا ضعف العجائز ولا وهن الأنوثة؛ فالكلّ مُدان

بيسوع. كانت حملته المحمومة ضدّ الكنيسة قائمة على حماية ديانة الآباء .. مُزكّاة بغيرة فريسيّة ومنطلقة من تقليد إنساني رسخ في عقله وقلبه. لم يرى بشرًا بل أعداء. لم يحاول فهم الآخر بل كمّمه ليحوّله إلى شيء يسهل التخلُّص منه .. ليُصيِّره رقمًا في تعداد الأعداء المندحرين!!!

يرسم لنا القديس لوقا بقلمه موقف شاول وعنفوانه كأحد المنوطين بهدم المسيحيّة الوليدة، فيقول: «وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ» (أع٨). كلمة "يسطو" ἐλυμαίνετο لا تعني مُجرّد الاستيلاء ولكنّها كلمة تحمل معنى الامتهان والتدمير والافساد. وقد وردت في نصّ السبعينيّة للمزمور (٨٠: ١٣) إذ يقول: «يُفْسِدُهَا الْخِنْزِيرُ مِنَ الْوَعْرِ، وَيَرْعَاهَا وَحْشُ الْبَرِّيَّةِ». فالكنيسة هي كرم المسيح، بستانه الخّاص، ولكن الخنزير يسعى ليدخل ويفسد كرمه ويبعثر عناقيده ويدهس دماء العنب بأرجله ليتركها مكانًا خَرِبًا. ذاك ما أراد القديس لوقا الإشارة إليه في الهجمة المستعرة التي بدأها شاول وأقرانه على تلاميذ الربّ، كما كان يُسمّون آنذاك.

شُرِعَت السجون لاحتضان مؤمني القيامة. كان يكفي كون الإنسان مسيحيًّا ليُجرَّد من كلّ شيءٍ حتى الحياة، كان ذلك عند اليهود لحماية ميراث الأرض والعِرق والسلف.

امتُهنت إنسانيّة المسيحيّين في أورشليم إذ لم يكن تجريدهم من كلّ شيءٍ يتمّ في سياق قانوني وتنفيذ أمني هادئ، بل كان القانون هو العّامّة والتنفيذ بأيدي الدهماء من الشعب!! استُبيح المسيحيّون ولكنّهم لم ينظروا للجسد الذي يُمتهَن بل للروح التي تتجمَّل للخدر الأبدي وللختن السمائي.

لم يكن شاول مُكلَّفًا بتعقُّب التلاميذ، بل كان يسعى جاهدًا لنوال بركة السنهدرين على مسعاه، من خلال تعقُّب المسيحيّين المرتحلين عن أورشليم عقب موت إستفانوس وما صاحبه من محاولات إيذاء المسيحيّين هناك.

كان السنهدرين هو مجلس شيوخ وقادة اليهود وهو أشبه بمجلس الشعب في الدولة الحديثة، وكان الانتساب إليه يُمثِّل شرف وسطوة في آنٍ واحد. يكتب إميل شرر *Emil Schürer*: "إنّ المؤهِّل الأوحد للمنتسبين الجُدُد للسنهدرين هو حفظ التعاليم الرابِّيَّة"[1]. فقد يكون شاول أحد الذين انتسبوا للسنهدرين في حقبةٍ ما استنادًا على تميُّزه وتفوُّقه في التقليد الآبائي / تعاليم الرابيين، وهو ما يعطيه الحقّ في التصويت والاقتراع[2] في الإدانات التي وُجِّهت للمسيحيّين الأوائل؛ «وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيْتُ قُرْعَةً بِذَلِكَ». إلاّ أنّ الكثير من الآراء لا تُرجّح هذا الأمر لصغر سنّه.[3]

لقد ملأ الغضب قلبه حتّى أنه كان يتنفّس إيذاءً وقتلاً، كما كتب القديس لوقا، إذ نقرأ:

✠ «أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ،[4] رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (أع٩: ١-٢)

يروي القديس بولس حالته حينما قاده الشيطان لإبادة كنيسة الله من قِبَل غيرة ليست حسب المعرفة ومن قِبَل قناعات مغموسة في سِمِّ الراديكاليّة المنغلقة والعنفيّة. لم يكتف باضطهاد المسيحيين في أورشليم، فرغبته في الانتصار ليهوه أَعْمَت عينيه سوى عن إيذاء تلاميذ الناصري، ها هو يقول:

✠ «وَاضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ مُقَيِّداً وَمُسَلِّماً إِلَى السُّجُونِ رِجَالاً وَنِسَاءً. كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضاً رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشْيَخَةِ الَّذِينَ إِذْ

---

[1] Schürer, *History of the Jewish People*, vol. 2, p. 211.

[2] كانت العادة القديمة بخصوص إلقاء القرعة في السنهدرين هي إلقاء حجر أسود للإدانة أو حجر أبيض للتبرئة.
MacArthur, John. *Acts*. Chicago: Moody Press, 1994, c1996; 326.

[3] Keener, Craig S. and InterVarsity Press. *The IVP Bible Background Commentary : New Testament*. Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1993; Acts 26:9-12.

[4] يطلق الكُتّاب اليهود على المسيحيين דרך הנוצרים أي طريق النصارى (المسيحيّين).
C.F. Clarke, Adam. *Clarke's Commentary: Acts*; Clarke's Commentaries. Albany, Acts 9:2

أَخَذْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ ذَهَبْتُ لآتِيَ بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا» (أع ٢٢: ٤-٥)

✠ «فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُوراً كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاِسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ. وَفَعَلْتُ ذَلِكَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْقِدِّيسِينَ آخِذاً السُّلْطَانَ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيْتُ قُرْعَةً بِذَلِكَ. وَفِي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَاراً كَثِيرَةً وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ. وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ» (أع٢٦: ٩-١١)

كانت المسافة حوالي ١٥٠ ميلاً بين أورشليم ودمشق، وكانت تستغرق حوالي أسبوع، يعبر خلالها على أريحا ووادي الأردن وبحر الجليل ومرتفعات الجولان.[٥] كان يوجد بدمشق جالية يهوديّة كبيرة[٦] (ربع خاص باليهود) لذا كانت من الأماكن الملائمة لجماعة المسيحيّين الذين وقعت عليهم رحى الاضطهاد.

هناك العديد من الآراء بخصوص الرسائل التي حملها شاول من رئيس الكهنة (قيافا، على الأرجح) إلى المجامع في دمشق، فبينما يرى البعض أنّ الإمبراطوريّة الرومانيّة (يوليوس قيصر وأغسطس) أعطت الحقّ للسنهدرين أن يمارس سلطاته على اليهود حتى خارج فلسطين.[٧] نجد آخرون يشيرون إلى أنّ دمشق كانت في تلك الفترة تحت مظلة النباطيين الذين كانوا يُشكِّلون حُكمًا وأغلبيّة في دمشق آنذاك. ومن هنا يمكن فهم التعاون بين اليهود

---

[5] Mills, M.S. *The Acts of the Apostles*. Dallas: 3E Ministries, 1997, c1987, Acts 9:1

[٦] لقد قُتل ما لا يقل عن عشرة آلاف يهودي (١٠,٥٠٠ في تقدير يوسيفوس) في دمشق أثناء الحروب اليهوديّة ضدّ الإمبراطوريّة الرومانيّة.

C.F. Kistemaker, Simon J. and William Hendriksen. *New Testament Commentary: Exposition of the Acts of the Apostles*. New Testament Commentary. Grand Rapids: Baker Book House, 1953-2001, p. 329.

[7] Balge, Richard D. *Acts*. The People's Bible. Milwaukee, Wis.: Northwestern Pub. House, 1988, p.99; W. G. Humphry, B.D, *A Commentary on the Acts*. 2nd edition, 1854.

والنباطيين، في دمشق، في سياق عداوتهم المشتركة، ككيانات صغيرة، للإمبراطوريّة الرومانيّة[٨]

سيكولوجيّة المُضطّهِد

إنّ الاضّطهاد الذي لاقته الكنيسة منذ نشأتها تولّد على أيدي أحد توجّهين رئيسيّين:

١. **اضطهاد مُنظّم من قبل حكومات ودول وإمبراطوريّات وحُكّام، وغالبًا ما يكون السبب إيديولوجي**: مثل روما القديمة التي كانت تخشَى على مكانة قيصر بسبب إصرار المسيحيّين على عدم تقديم البخور له ولا بالاعتراف به ربًّا على الأمم التابعة له. كذلك لأنّ المسيحيّة تُذيب الحواجز الطبقيّة بين البشر وهو ضِدّ الأيديولوجيّة الرومانيّة التقسيميّة للبشر إلى سادة وعبيد، رومان وبربر، رجل وامرأة، غني وفقير ...

كذلك الثورة الشيوعيّة التي قامت أولاً في الاتّحاد السوفيتي القديم، تلك التي رأت أنّ المسيحيّة تُهدّد تلك الثورة لأنّها ثورة إنتاجيّة تضع الإنسان في الآلة الكبرى للإنتاج دون النظر إلى احتياجاته أو تفرُّده أو ملكاته. هي تذيب الشخص ليصير فرد في جماعة. في المقابل نجد أنّ المسيحيّة ترى أنّ الإنسان هو محور محبّة اللّه وخلاصه ومن ثمّ فإنّه موضوع الاهتمام الأوّل، وحياته الشخصيّة هي جلّ ما يملك بل هي "الكون المُصغَّر" كما كتب القديس غريغوريوس النزينزي.

٢. **اضطهاد من قبل أفراد أو جماعات أو مؤسّسات أو دول ذات صبغة دينيّة وهو اضطهاد أصولي النزعة**: مثل اليهوديّة التي ترى المسيحيّة بجملتها كانحراف عن الأصول التوراتيّة والنبوّات المُدوّنة والتقليد المُستلم. وفي أغلب الأحيان يكون الاضطهاد مدفوع بنصوصٍ لها تأويلات خاصّة لمباركة مثل تلك الأعمال ضِدّ جموع المسيحيّين.

---

[8] Kistemaker, Simon J. and William Hendriksen. *New Testament Commentary : Exposition of the Acts of the Apostles*. New Testament Commentary. Grand Rapids: Baker Book House, 1953-2001, p. 329.

المُضطّهِد الأصولي النزعة

يكتب الدكتور مراد وهبه: "إنّ الأصوليّة أيًّا كانت سمتها الدينيّة ... تمزج المطلق بالنسبي والحقيقة الأبديّة بالحقيقة العابرة، وبذلك تدافع عن حقيقة لاهوتيّة ماضويّة، وكأنّها رسالة أبديّة موجّهة ضدّ حقيقة لاهوتيّة راهنة، فتعجز عن التعامل مع الوضع الراهن، ليس لأنّها مجاوزة لهذا الوضع ولكن لأنّها تتحدّث عن وضع ماضوي فتمنح مصداقيّة أبديّة لرؤية نسبيّة. وفي هذا السياق تصبح الأصوليّة مُمهِّدة لما أسمّيه: صراع المطلقات ... إنّ الحوار يفترض التسامح، أي يفترض مشروعيّة الرأي المخالف. فإذا ارتقى الرأي والرأي المخالف إلى مستوى المطلق، تحوّل الحوار إلى نقيضه، أي إلى صراع، لأنّ المطلق بحكم طبيعته لا يقبل التعدديّة."[٩]

لقد حلَّل القديس بولس حالته قبل التحوُّل للمسيح قائلاً:

✣ «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ وَلَكِنْ رَبَيْتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُوراً لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ» (أع٢٢: ٣).

✣ «أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ ايمَانٍ» (١تي١: ١٣).

✣ «فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ ὑπερβολή (فوق القياس *beyond measure*) وَأُتْلِفُهَا[١٠] ἐπόρθουν. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي» (غلا١: ١٣-١٤).

إنّ "مفتريًّا" (١تي١: ١٣) جاءت في اليونانيّة ὑβριστήν والتي تعني العنيف المتغطرس؛ فالمُضطهِد شخصٌ تحركه ثلاثة عوامل، هي: الفهم الخاطئ،

---

[٩] الأصوليّة والعلمانيّة، الدكتور مراد وهبه، دار الثقافة، ١٩٩٥، ص٤٠

[١٠] تلك الكلمة وردت عند هوميروس كمصطلح حربي بمعني "تدمير وتخريب المدن".
Burton, Ernest De Witt. *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistle to the Galatians*. New York: C. Scribner's sons, 1920; 45

العنف الكامن غير المُهذَّب، الكبرياء. هي سلسلة متشابكة. فالفهم الخاطئ القائم على التمييز الإنساني إلى أعداء وأتباع حسب المعتقد يولِّد كبرياء قَبَلي/ عرقي/ ديني، يفرَّغ من خلال العنف اللَّفظي أو البدني. فشاول، بجهلٍ، تلقَّى تعليمه بالأفضليّة اليهوديّة عرقيًّا وأنّ الأمم كلابٌ وأنجاسٌ، ومن ثمّ يكون المتحوِّل عن ديانة الآباء من اليهود على قائمة الشيطان نفسه!! التي يجب أن يُطهِّر الأرض منها ليعيد المجد إلى شعب إسرائيل. هنا يَظْهر بُعدٌ هام في التعليم الخاطئ وهو الاستدلال بالتاريخ والتقوقع في التاريخ مع إخلائه من سياقه ليبقى أحداثًا متناثرة تخدم فكر أصولي مُدعَّم بنصوصٍ انتقائيّة لتأمين النفس ضدّ الضمير. وهنا يلعب القادة الأصوليين على حسّ النوستالجيا (الحنين إلى الماضي) *nostalgia* الكامن في النفس الإنسانيّة والمتولِّد من كثرة الحديث عن أمجاد الماضي الغرّاء ولوائه المرفرف بعزّة على تلّة التاريخ!!!

لقد كتب أديب مصلح في هذا السياق قائلاً: "من يحبّ اللّه حقًّا ويعبده، في الحقّ، يتّصف بالرقّة والوداعة. ولكن مَنْ يحبّ نفسه، تحت غطاء الدين، هو دائمًا حادٌّ وعنيفٌ .. معظم أعضاء الطبقة الدينيّة الحاكمة من صدّوقيّين وفرّيسيّين، كانوا قد شوّهوا الشريعة تشويهًا أعماهم، وانحطّ بهم إلى درك سحيق، وأغلق دون الحقيقة نفوسهم، وأفعمها، حيال يسوع، بغضًا عنيدًا وعنفًا شرسًا. لقد صبّوا على يسوع اتهاماتهم، لا استنادًا على الشريعة نفسها، بل على تفسيرهم لها تفسيرًا مغرقًا في التفاهة والحمق، وقد تشبّثوا بتفسيرهم، وأعرضوا عن جوهر الشريعة وروحها. خضعوا لصغارات أفكارهم ونبذوا كلام اللّه".[١١]

إنّ المُضطّهِد الأصولي (مَنْ يُخطّط) كثيرًا ما يكون ممّن يمكن أن نسمّيهم "المتفوّقين" في النصوص الدينيّة؛ «وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي». إنّه يجد ذاته في ذاك المضمار إذ يركض ولا يجد من يباريه في القدرة على التحليل والتأويل والاستيعاب لما يتلقّنه تحت المظلّة الظلاميّة التقليديّة التي صنعها بشرٍ لم يتمرّسوا على حياة التقوى ولم يُقدّروا

[١١] أديب مصلح، يسوع في حياته، الجزء الأول (منشورات المكتبة البولسيّة: ٢٠٠٦)، ٤٤٣

قيمة الإنسانيّة وأهميّة التعددّية في المجتمع. التقليد الذي تربّى عليه شاول بل وبرع فيه على يدّ غمالائيل، كان تفسير وتأويل النصوص الكتابيّة حرفيًّا وسن شرائع وقوانين وعقوبات من خلال ذلك التأويل الوضعي. لذا نجد أنّ النصّ المعني بدفع الإنسان باطنيًّا ومن ثمّ خارجيًّا إلى الله، تحوّل إلى قوانين تنظيميّة خارجيّة ردعيّة للحفاظ على بنية مجتمعيّة ذات صبغة دينيّة!!! من تلك النقطة يبدأ التداخل بين سلطة النصّ على قلب الإنسان داخليًّا، وسلطة القانون الوضعي على بدنه خارجيًّا، وتتحوّل الدولة إلى مؤسّسة ذات مرجعيّة دينيّة بطلب المجتمع عينه لأنّه لا يدري مدار النصّ الكتابي، ومدار القانون الوضعي، وهنا يختار المجتمع (بجهلٍ) القانون ذو الصبغة الدينيّة إذ يرى أنّه السبيل الأوحد إلى إرضاء الله!!!

لقد «صَنَعَ بَعْضُ الْيَهُودِ اتِّفَاقاً وَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ حَتَّى يَقْتُلُوا بُولُسَ» (أع ٢٣: ١٢). كانوا يظنون أنّهم بذلك «يُقدّمون خدمة لله»، بحسب كلمات المسيح. كان ذلك الاتّفاق تحت مظلّة الغيرة الدينيّة فكان مريحًا للضمير. إنّ أيّة ديانة عنفيّة هي انحراف عن مفهوم الديانة عينه. إلاّ أنّ العنف المستتر في الدين أسهل لأنّه يُخدِّر الضمير الإنساني ضدّ أيّة ممارسات لاإنسانيّة لإيذاء الآخر. لذا كان المسيح، ومنه تلقّى إستفانوس الشهيد الخيط ومن بعده القديس بولس ومن بعدهم الكنيسة، يُحاول شرح الإيمان كاكتمال للمسيرة الإيمانيّة لشعب الله. كان يستدلّ بحياة الشعب العبراني عينه ليؤكّد أنّ الإيمان به مُخلّصًا هو لحظة كامنة مستترة في قلب النبوّة وفي سياق الدفع الإلهي لشعبه في العهد القديم. لقد جاهد كلّ الآباء بدءًا بالرسل أن يشرحوا الإيمان كانفتاح على الآخر وإن كان أمميًّا وحبّ للآخر وإن كان عدوًّا إلاّ أنّ قوى الانغلاق كانت تقوِّض كلّ دعاوى الانفتاح الإيماني وتلقي بها في مستنقع الأصوليّة الدينيّة والتمايز العرقي لإرضاء كبرياء ذاتي أو للبقاء في حلم مجتمعي يرسِّخ من نفوذهم ومصالحهم وأعمالهم في تلك البلاد.

إنّ الإشكاليّة اليهوديّة أنّها تحوّلت إلى ديانة دوجماطيقيّة (قائمة على نصّ مدوّن هو عينه العقيدة)، أي تستند إلى عقائد مكتوبة دون الإيمان بنسبيّة العقيدة

المُصاغة في لغة البشر، ومرحليّتها، وبالأخصّ أنّ الإيمان اليهودي قائم بالأساس على انتظار المسيّا، أي أنّه إيمان يترقّب المستقبل للاكتمال. ولكنّها تحوّلت إلى قوقعة صلبة ترفض مياه جدّة الحياة، وإن كانت كلمات المسيّا عينه، مَنْ ينتظرونه. قد يكون ذلك لأنّ الإسخاطولوجيّة (الأخرويّة) اليهوديّة تتوقّف بامتلاك الأرض وعودة شعب الله لحلم كنعان الموعودة. إذًا فهي إسخاطولوجيّة زمنيّة فقط!!!

الإيمان المسيحي، في المقابل، قائم على شخص المسيح؛ الله الكلمة، ومنه يستمد المسيحي، كلّ يوم تحديدًا جديدًا عمليًّا اختباريًّا لمفهوم الإيمان (وليس العقيدة الثابتة على مرّ الأجيال) وتطبيقه، والنصّ المسيحي المُكوِّن للدوجما أشبه بحدود الطريق وضفّتي النهر لئلا تنحرف المسيرة وتتبعثر المياه. لذا فالإيمان المسيحي هو إيمان منفتح لأنّه يقف مترقّب الإعلان الإلهي اليومي. إنّ الإسخاطولوجيّة في إيماننا المسيحي منفتحة بانفتاح الأبد لأنّها قائمة على الاتّحاد بالله الأبدي. بل ويمكن القول أنّها إسخاطولوجيّة ديناميّة لا تتوقّف عند أيّة مرحلة زمنيّة، مهما كانت زاخرة بتحقُّق الوعود لأنّ الوعد الإلهي هو الملكوت اللاّزمني.

إنّ الديانة القائمة على الدوجما تتوهّم امتلاكها الحقّ كاملاً، في نصّ الدوجما، ومن ثمّ فإنّ أي تأويل نصّي مرفوض لأنّه يخرج عن سياق الحقّ عينه!!! وهنا تبرز إشكاليّة استنفاذ الحقّ؛ فالحقّ المُحدّد بكلمات وقوانين يبقَى حقًّا عقيمًا لأنّه لا يمكنه التُجدّد مع تحديّات العصر. لذا فإنّ امتلاك الحقّ يعني أنّه لم يكن يومًا حقًّا لأنّه صار أسير عقلٍ وحرفٍ وقانونٍ .. صار سجين لُغةٍ وأرضٍ وزمانٍ!!!

لذا لم يكتب المسيح دوجما بالمفهوم الحرفي. بل قاوم الحرف لحساب الروح. جاء مُخلِّصًا، وأعلن حبًّا، وأشار للملكوت، ورسم خريطته بالفضائل. كلّ مَنْ قبله بالموت والقيامة (المعموديّة) دخل دائرة الحقّ لأنّه صار عضوًا في جسد الحقّ، إذ قال الربّ يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو١٤: ٦). ومَنْ دخل دائرة الحقّ يتلقّن كلّ يوم الحقّ، خبرةً ووعيًا وتلامسًا، والحقّ لا

يُستنْفَذ، إذ أنّه مطلق لأنّه اللّه عينه. إنّه أشبه بمياه يمكنها أن تأخذ شكل أيّة آنية وتتلوّن بأي لونٍ دون أن تتغيّر خصائصها، وبالرغم من ذلك فإنّ ظاهرها تغيّر بتغيُّر الإناء واللّون. هكذا الحقّ يمكنه أن ينسكب في أي زمنٍ وبأيّة لُغة وتحت أيّة مظلّة ثقافيّة .. هو هو الحقّ عينه دونما تغيير. هذا هو نمط المسيح في إعلان الحقّ وهذا هو جوهره الذي طالما نادى به بل وبكّت مَن تقيَّدوا بقيود قشوره دون لبابه.

الديانة القائمة على الدوجما تبحث عن حكم ثيوقراطي، تريد أن تُملِّك الدوجما على البشر على اختلاف تنوّعهم الإنساني والثقافي والزماني، تختزل التاريخ في نصوصٍ تمسحها ملكة على رقاب البشر!!! من هنا نفهم الأيدلوجيّة الصهيونيّة المعاصرة التي تتّخذ شعارًا لها: "كمال اليهود ووحدتهم من كمال أرض إسرائيل". والأرض تعني الحُكم بالشريعة المنغلقة والموّجهة بتفسيرات عنصريّة خطّها الرابيون عبر العصور تحت وطأة حلمهم بالعودة ونوال الميراث المفقود في كنعان.

بينما المسيحيّة لا تريد حُكْمًا ولا تسعى إليه؛ إذ قال المسيح صراحة: «مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أَوْ مُقَسِّماً؟» (لو١٢: ١٤). وفي سياق آخر، قال: «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ» (لو٢٠: ٢٥). ويضيف القديس لوقا أنّ مَنْ سمع هذا الكلام تعجّب منه؛ فمَنْ ذا الذي لا يطمح في مقارعة قيصر على سلطان الزمن؟؟ فقط المسيح وبنيه ...

لا يجتمع يسوع مع قيصر تحت قبّة واحدة، إذ أوضح أنّ عمله هو غربلة قلوب البشر من زوان الخطيئة وإعدادها لقبول ملكوت اللّه، في سياق واقعهم الإنساني. فالمسيحي لا يُغيِّر العالم بالسلطة بل بالصلاة. أيُّ انحراف عن الباطن ومحاولة لدمج المسيح مع قيصر لا يُعبِّر عن المسيحيّة على الإطلاق بل وضدّ مسيرة الإنجيل.

من هنا نفهم أنّ الشهادة هي في صميم واقعنا المسيحي وقناعتنا الإنجيليّة وتاريخنا الممتدّ. لأنّ المسيحي هو شخص لاثوري بمنطق السيف والحركات العُنْفيّة الدمويّة. ثورته يطلقها من مخدع الصلاة ونقاوة الحياة وإعلان الحقّ دون

إراقة دماء. المسيحي يُسطِّر كلمات الحقّ بألمه لا بإيلام الآخرين، لذا فالحقّ المسيحي فعّال ومثمر لحياة أفضل.

حادثة تحوُّل شاول كنقطة انطلاق لفهم محبّة الأعداء

قد نرى المخطط لإبادة الكنيسة .. قد نرى التوصيات تُكتب والتحالفات تجتمع .. قد نرى شاول على الطريق وسط الجنود لإتمام مهام الموت .. ولكن على الطريق قد يتغيَّر كلّ شيء .. قد ينقلب السحر على الساحر ليتحوّل سيف الموت لسيف الكلمة للإعلان عن حقيقة المصلوب أنّه ابن الله والمسيّا المنتظر والإله المتجسَّد.

وبينما شاول على 'الطريق' (إلى دمشق) ليُبْطِل 'الطريق' (المسيحيّين) التقى 'الطريق' (المسيح).

✠ «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلاً لَهُ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ الرَّبُّ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ» (أع٩: ٣-٥)

✠ «وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِباً فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ أَيُّهَا الْمَلِكُ نُوراً مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي. فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ سَمِعْتُ صَوْتاً يُكَلِّمُنِي بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ. فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ لأَنْتَخِبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ. مُنْقِذاً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ. لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أع٢٦: ١٢-١٨)

لقد أرست كلمات الربّ التي أعلنها لشاول آنذاك بُعدًا لاهوتيًّا للاهوت الألم المسيحي. الضيقة المسيحيّة لا يمكن فهمها في إطار مجتمعي منغلق أو في

سياق عنف أصولي يستهدف المخالفين؛ فالسيف يريد أن يطعن المسيح شخصًا. لقد أعلنها الربّ أنّه المُستهدف من اضطهاد شاول، لبنيه. يسوع هو من يَقْطُر دمًا، إنْ جُرِحَ عضو في جسده الإلهي. إعلانًا كهذا ينقل دائرة الألم من نطاق الحيرة الإنسانيّة لمفهوم الألم إلى دائرة مجد مشاركة المُخلِّص الألم عبر جسده. لم يتوقَّف ألم المُخلِّص إذ أنّ الكنيسة لازالت نازفة. جلجثته لم تغلق ستائرها على مشهد الموت على الصليب؛ فالستائر تفتح كلّ يوم على مشهد صلب جديدٍ لتابعي يسوع. ولعلّ نفس المفهوم ينسحب على المُضطّهِد إذ بينما يرى أنّه يذبح ضعفاء غير قادرين على حماية ذواتهم، يواجه المسيح عينه. من يرفس المنخاس يُجرَح. جرح المسيحي مجد بينما جراح مُضطّهد المسيح دينونة عتيدة مستعرة بلهب الجحيم السفلي.

من يستطيع الصمود أمام دينونة الحمل المذبوح حبًّا.

لا أحد ...

كم ينبغي أن يتألّم

كانت كلمات المسيح عن القديس بولس عقب اختياره كآنية كرازيّة تحمل خمر الخلاص للأمم، قائلة: «لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (أع٩: ١٦). لم تحمل تلك الكلمات حسّ الانتقام الإلهي ممّن كان يجرح الكنيسة ليل نهار. بل على العكس؛ فمعاناة الألم هي وجه العملة الآخر لمعاينة المجد من خلال استعلان الابن في القلب والحياة. بقدر الألم يكون المجد الذي ينفجر في القلب كإشراقة ضوء النهار من بين خيمة الظلمة المعتمة. تلك الرؤية قد لا يفهمها إنسان العالم الذي يرى في الألم قسوة وانتقام وعقوبة ولامعقوليّة الحياة، بينما الألم المسيحي هو دخول مباشر من أقصر الطرق، من جنب المسيح، إلى السرّ المكتوم منذ الدهور والظاهر في الجسد والمُعْلَن في مخدع النفس الداخلي. أدرك القديس بولس مبكّرًا قانون الحياة مع الله، فقال: «الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلاً: إِنَّ وُثُقاً وَشَدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي» (أع٢٠: ٢٣). لم يَخَفْ من القيود ولم يتحايل على الشدائد للفرار من خشونة الصليب. صار الصليب له هو المعادلة الإلهيّة للألم المجيد والموت القيامي

والحزن المملوء بالفرح وبسلام الله. أعلنه فخرًا. افتخاره لم يكن بصليب المسيح فقط بل بصليبه الذاتي الذي قبله من يد المصلوب / القائم.

حينما أراد القديس بولس أن يؤكّد على أنّه أحد خُدّام المسيح διάκονοι Χριστοῦ لَمن شكّكوا في رسوليّته ومن ثمّ خدمته، كان معياره الأوحد هو الألم من أجل الكلمة وإعلانها؛ فقد كان احتماله هو "ختم رسوليّته"[١٢]. سمات المسيح المنقوشة على جسده كانت شهادته المختومة من العُلَى بأنّه خادم بالروح والحقّ وحامل للبُشرَى الحقيقيّة لموتى العالم من الأمم.

يُجمل لنا القديس بولس آلامه الجسديّة في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس فيقول:

«فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَاراً قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ ... » (٢كو١١: ٢٣-٢٧).

لم يكن ذلك هو كلّ ما عانه القديس بولس من أجل نثر أريج المسيح وسط العالم. عانى الكثير والكثير بعدما كتب رسالته الثانية إلى الكورنثيين؛ فقد تعرَّض للسجن مرارًا كثيرة بعد ذلك؛ في أورشليم وقيصريّة وروما .. كانت تلك الكلمات بمثابة إطلالة سريعة غير كاملة لما ناله من شدائد حتّى ذلك التاريخ.

١٩٥ جلدة، ضربات بالعصا، رضوض وكسور من قذف الحجارة، حزّ قيود السجن على معصميه، جسد متيبّس من الجوع والبرد، عينان غائرتان من الدموع، وجه شاحب من السهر (كلّ ذلك حتّى زمن كتابته للرسالة) .. كلّ ما فيه

[12] Plummer, Alfred. *A Critical and Exegetical Commentary on the Second Epistle of St. Paul to the Corinthians*. Reprint ed. The International Critical Commentary series. Edinburgh: T. & T. Clark, 1966. 322

يصرخ بالحبّ العملي لابن الله. حبّه للمُخلِّص أذاب لحمه وهشّم عظامه من أجل سُكْنَى المسيح .. ليقيمه بالجسد الجديد. آلامه عاناها وهو في ظلّ الإيمان يحيا وقلبه ينبض ويقول: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غل٢: ٢٠).

في نظرة سريعة لما لاقاه القديس بولس من آلام نجد أنّ الأمم تكاتفوا مع اليهود، اللصوص وضعوا أيديهم في أيدي الأخوة (الكذبة)، البحار اصطفت مع البراري، السيول تعاهدت مع الجوع والبرد؛ العالم والطبيعة والبشر والقيادات والحكومات والكهنة وقفوا ضدّ بولس، ولكنّه لم ينحن ولم يصمت ولم يتحوّل عن الدعوة ولم يخف من الشهادة. حقًّا يملك القديس بولس وحده أن يقول بملء فيه: «صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل٦: ١٤).

الجلد هو "أكثر ما يشين" الرجل الحُرّ، هكذا يكتب يوسيفوس.[١٣] كان الجلد "٣٩ جلدة" عقوبة خاصّة بالمجمع اليهودي، بحسب التشريع الكتابي، وذلك لأنّ العدد القانوني أربعون جلدة، وخوفًا من الخطأ في العدد فيتعدّى الجلد الأربعون، يُجلد المُدان ٣٩ جلدة. هذا ما نقرأه في سفر التثنية: «فَإِنْ كَانَ الْمُذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ. أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لا يَزِدْ لِئَلا إِذَا زَادَ فِي جَلْدِهِ عَلَى هَذِهِ ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ» (تث٢٥: ٢-٣). لقدوردت في المشناه اليهوديّة، هكذا: "عددًا يقارب الأربعين".[١٤] بينما يكتبها يوسيفوس صراحةً: "أربعون جلدة إلاّ واحدة".[١٥]

وقد يتبادر إلى أذهاننا لماذا قبل القديس بولس أن يُجْلَد من اليهود وهو صاحب الجنسيّة الرومانيّة. فالجلد كان عقوبة أشبه ما تكون بقانون عرفي

---

[13] *Antiquities* 4:238 cited by: Harris, Murray J. *The Second Epistle to the Corinthians : A Commentary on the Greek Text*.802

[14] *m. Makkot* 3:10, cited by: Harris, Murray J. *The Second Epistle to the Corinthians : A Commentary on the Greek Text*. Grand Rapids, Mich.; Milton Keynes, UK: W.B. Eerdmans Pub. Co.; Paternoster Press, 2005.801

[15] *Antiquities* 4:238, 248

داخلي في المجتمع اليهودي في أي مكان من الشتات، ذلك القانون مأخوذ من أحكام التشريعات الكتابيّة. كانت سلطة المجمع؛ "بيت القضاء" *house of judgment* كما يُلقَّب، على اليهود المنتمين له فقط، لا سلطة له على المجتمع الخارجي. ويبقى السؤال: لماذا قَبِلَ القديس بولس أن يظلّ داخل المجتمع اليهودي بأحكامه وهو رسول الأمم؟؟

هناك فقره في المشناه، مُختصّة بعقوبة الجلد، تنتهي بالعبارة التالية: "ومتَى أكمل الجلد يعود أخًا لك"[١٦]. تلك الفقرة توضِّح أن الجلد كان تأديب ليبقَى الفرد ممارسًا لمهامه كعضو في الجماعة، فهو بديل عن "الفصل" من المجمع.[١٧] وقد كان القديس بولس حريصًا كلّ الحرص أن يبقَى داخل الجماعة اليهوديّة ليربح على كلّ حالٍ قومًا أو "ليحافظ على علاقاته اليهوديّة" كما يصيغها هارفي[١٨]. ألم يقل صرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود. كانت آلامه من اليهود هي ذبيحته الطوعية من أجل قبولهم الإيمان بل وليؤسِّس خدمته الكرازية على الدماء والألم مُستمِدًّا من المسيح المثال والطريقة للعمل في حقل العالم القفر.

كان الألم هو ردّ الجميل الدائم من اليهود له؛ فنقرأ عن الرجم الذي طاله بسبب تأليب الجموع عليه في الفترة التي قضاها في لستره؛ «أَتَى يَهُودٌ مِنْ أَنْطَاكِيَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَقْنَعُوا الْجُمُوعَ **فَرَجَمُوا** بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ظَانِّينَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ» (أع١٤: ١٩). كان اليهود يترصّدون تحرُّكات القديس بولس، حتّى إنّه قال: «بِتَجَارِبَ أَصَابَتْنِي بِمَكَايِدِ الْيَهُودِ» (أع٢٠: ١٩). في الأغلب لم يكن الرجم في لستره عقوبة مجمعيّة بقدر ما هو هجمة غوغائيّة عليه للتخلُّص منه. في المقابل، يكتب القديس بولس: «إِنَّ لِي حُزْناً عَظِيماً وَوَجَعاً فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ! فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي

[16] *m. Ker*. 1:1, cited by: Garland, David E. *2 Corinthians*. The New American Commentary. Vol.29. Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001, c1999.497

[17] *m. Makkot* 3:15, cited by: Harris, Murray J. *The Second Epistle to the Corinthians : A Commentary on the Greek Text*.802

[18] A. E. Harvey, "Forty Strokes Save One: Social Aspects of Judaizing and Apostasy," in *Alternative Approaches to New Testament Study*, ed. A. E. Harvey (London: SPCK, 1985).93.

أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو٩: ١-٣)؛ «إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطِلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ» (رو١٠: ١)؛ «لأَجْلِ ذلِكَ أَنَا **أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ** لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ» (٢تي٢: ١٠). لقد احتمل منهم شرورًا عظيمة لكيما يخلصوا، ولكنّهم أحبّوا الحرف رافضين الروح، راضين بالبرقع دون البصر!!!

على الجانب الآخر، جانب الأمم، كان الضرب بالعصى عقوبة رومانيّة خالصة على مرأى ومسمع من جموع الناس. كانت تلك العقوبة تسري على المستعمرات الرومانيّة مثل أنطاكية بيسادية، لستره، تروآس، فيلبي، كورنثوس. والمُدهش أنّ تلك العقوبة ليست لمن يحوزون الجنسيّة الرومانيّة بموجب القانون *Lex Porcia*، إلاّ أنّ القانون ليس اللاعب الأوحد في العقوبات التي تلقّاها القديس بولس؛ فالظلم لاعب أساسي في مضمار الألم الذي عاناه. كانت تلك العقوبة خاصّة بالفئات الدنيا من المجتمع، كما كانت الوسيلة الملائمة لعقوبة أولئك الذين يُحدِثون اضطرابًا في المجتمع[١٩]. يكتب بلَمَر Plummer: "لم تكن المواطنة الرومانيّة حماية كافية لبولس حينما أبدى القضاة ميولاً وحشيّة وقاسية"[٢٠].

نقرأ عن حادثة القبض على القديس بولس في فيلبي نتيجة طرده للروح النجس الذي كان يسكن في جارية وكان مصدر كسب لسيّدها لأنّه كان روح عرّافة؛ يكتب القديس لوقا: «أَمْسَكُوا بُولُسَ وَسِيلاَ وَجَرُّوهُمَا إِلَى السُّوقِ إِلَى الْحُكَّامِ. وَإِذْ أَتَوْا بِهِمَا إِلَى الْوُلاَةِ قَالُوا: هَذَانِ الرَّجُلاَنِ يُبَلْبِلاَنِ مَدِينَتَنَا وَهُمَا يَهُودِيَّانِ. وَيُنَادِيَانِ بِعَوَائِدَ لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْبَلَهَا وَلاَ نَعْمَلَ بِهَا إِذْ نَحْنُ رُومَانِيُّونَ. فَقَامَ الْجَمْعُ مَعاً عَلَيْهِمَا وَمَزَّقَ الْوُلاَةُ ثِيَابَهُمَا **وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالْعِصِيِّ**

---

[١٩] يصف شيشرون *Against Verres* 2.5.142 أحد حوادث الضرب بالعصي لشخصٍ فقير كان يُضرب بشدّة حتى كان الدم يسيل من وجهه وعينيه وسقط على الأرض وبالرغم من هذا استمرت الضربات بعنفٍ شديد.
B. Rapske, *The Book of Acts and Paul in Roman Custody*, The Book of Acts in Its First Century Setting (Grand Rapids: Eerdmans, 1994) 125

[20] Plummer, Alfred. *A Critical and Exegetical Commentary on the Second Epistle of St. Paul to the Corinthians*. Reprint ed. The International Critical Commentary series. Edinburgh: T. & T. Clark, 1966. 325

ῥαβδίζειν. **فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً** وَأَلْقُوهُمَا فِي السِّجْنِ وَأَوْصُوا حَافِظَ السِّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا بِضَبْطٍ» (أع١٦: ١٩-٢٣).

ويعلّق القديس بولس على تلك الحادثة في رسالته الأولى إلى التسالونيكيين بأنّ ما حدث كان إهانة شديدة؛ «بَعْدَمَا تَأَلَّمْنَا قَبْلاً وَبُغِيَ عَلَيْنَا ὑβρισθέντες (*mistreat, insult*) كَمَا تَعْلَمُونَ، فِي فِيلِبِّي، جَاهَرْنَا فِي إِلَهِنَا أَنْ نُكَلِّمَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، فِي جِهَادٍ كَثِيرٍ» (اتس٢: ٢). ولعلّ ذلك قد يكون بسبب مواطنته الرومانيّة التي لا يجب أن تتلقّى عقوبة كهذه.

كانت أخطار البحار كثيرة في زمن القديس بولس، كما لا يجب أن نغفل فقره الذي يجعله يقبل بأن يصعد على متن أي سفينة ولو كانت في الرحلة مخاطر؛ فلهب الكرازة دفعه ليلقي بذاته في أحضان الموت دون وجلٍ أو خوف، ولِما لا، ألم يقل سيكوندس *Secundus* الفيلسوف، عن السفن، حينما سأله الأمبراطور هادريان، أنّها "موتٌ مُبحِر وقبرٌ مفتوح!!" وكان رأيه أن ربّان السفينة ما هو إلاّ "جارٌ للموت!!".[٢١]

الحادثة الوحيدة التي دوّنها لنا الكتاب عن انكسار السفينة بالقديس بولس، نجدها في (أع٢٧: ٣٩-٤٤).

عن القديس بولس، يكتب كليمندس الروماني، فيقول: "قُيِّد سبع مرّات بالسلاسل وهرب ورُجم بالحجارة وصار مُبشِّرًا في الشرق والغرب ونال المجد الذي لا يضاهيه مجد. وبعد أنّ علّم المسكونة، العدل،وصل إلى حدود الغرب واستشهد أمام مَنْ يحكمون وهكذا انعتق من العالم وذهب إلى المكان المُقدَّس كمثال عظيم للصبر."[٢٢]

إنّ نمط حياة القديس بولس يبكّت مسيحيّتنا الآمنة المكتفية بالكلمات دونما الألم .. المكتفية بالمعرفة دون الإعلان .. المكتفية بالذات دون الآخر ..

---

[21] Garland, David E. *2 Corinthians*. The New American Commentary. Vol.29. Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001, c1999.499

[٢٢] كليمندس الروماني ٥: ٦، ٧؛ الآباء الرسوليون، منشورات النور ١٩٨٢، ٢٥

المكتفية بتلقّي الحبّ دون إطلاقه .. المكتفية بالفرح دون بثّة في شريان عالم الحزن والكآبة والتهُّد ...

يمكن أن نجمل حياة القديس بولس بأنّها كانت رحلة من المخاطر المُتّصلة التي تلقي ظلّها على الجسد بينما كانت روحه تلتمع يومًا بعد يومٍ من قوّة الإعلان الإلهي ونشوة خدر العريس الذي أحبّه أكثر من أي شيءٍ آخر.

كانت كلماته مستندة على اختبار حضور الله في خضمّ الألم لذا تبقى كلمات صادقة تَصِلُ إلى القلب دون مواربة. لقد تسلّم من المسيح سرّ المسيحيّة مختبرًا إياها بإيمانٍ ترتعش أمامه الجبال. لقد قال: «مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ» (٢كو٤: ٩)؛ «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ. كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ. كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (٢كو٦: ١٠). فالاضطهاد والانطراح والحزن والفقر هي حالة الجسد التي يراها العالم، بينما المعيّة والعون والفرح والغنى هي خبرة النفس الداخليّة. مع المسيح نملك كلّ شيء لأنّه ربّ كلّ شيءٍ.

فهلاّ قبلنا سرّ الإنجيل الذي اختبره بولس مُتألّمًا وشهد له، فنال مكانًا في المجد الأسنى الذى طالما ترقّبه وصارع الزمن لنواله؟؟ يبقى التساؤل والجواب هما الدعوة والاستجابة التي ندور في فلكهما هنا في الزمن وبين جدرانه الضيقة.

يُتْبَع